إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الأولى – العدد الرابع – شتاء ١٣٩٠ش/كانون الأول٢٠١١م

تراجيدية سياوش والعبر التاريخية

چنين است كيهان پر درد و رنج
چه نازى به نام و چه نازى به گنج

محمد نويد بازرگان*
سيدابراهيم آرمن**

الملخص

يحظى متلقّو الآداب أثناء تطلعهم على الأدب بقِيَم أخلاقية سامية وعِبَر تاريخية يحتاج الإنسان لنيلها إلى سنوات بل عصور من التجارب وقد تكون حياة الشخص ثمنا لما يناله من الخبرات التى تساعده على سعادته بل على إسعاد الآخرين أيضا. إن التراجيديا أو المأساة بالرغم من إثارة الحزن العميق لدى المشاهد، تأخذه إلى قاعات التفكير ليتجنب المهالك التى أودت بالبطل التراجيدى إلى الموت أو الهلاك. فمتلقى المسرحية بعد رجوعه من المسرح يسرّه ما توصل إليه من قيم كانت روح البطل ثمنا لها.

يلقى هذا المقال نظرة عابرة إلى التراجيديا ومدلولاتها فى الأدب الدرامى، ثم يتطرق إلى تراجيدية سياوش عند الشاعر الإيرانى العملاق الحكيم فردوسى فى ملحمته الشهيرة المعروفة بالشاهنامه، مشيرا إلى شخصياتها البارزة وما تتركه من أثر على نفس القارئ. هذا ويقدم المقال غايات فردوسى الأخلاقية التى تترتب على هذا الجزء من الشاهنامة.

الكلمات الدليلية: فردوسى، الملحمة، الأدب الدرامى، التراجيديا، الشاهنامة، سياوش.

---

*. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى رودهن – أستاذ مساعد.
**. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج – أستاذ مساعد.
التنقيح والمراجعة اللغوية: د.عبدالحميد أحمدى

Shams1516@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٦/١٧هـ. ش
تاريخ القبول: ١٣٩٠/٨/١٢هـ. ش

المقدمة

يعتبر فردوسی من الشعراء الإيرانيين الكبار بل من أساطين الأدب العالمی. حاول هذا الأديب العملاق طيلة ثلاثين عاما ومن خلال خلقه للشاهنامة أن يحافظ على اللغة الفارسية. وحقا استطاع فردوسی أن يحمی كثيرا من المفردات الفارسية الدرية من الضياع بإدخالها فی ثنايا شعره، يفتخر الشاعر بهذا الإنجاز العظيم بقوله:

بسی رنج بردم در اين سال سی عجم زنده كردم بدين پارســی

ولد هذا الشاعر الفحل أبوالقاسم منصور بن حسن بن إسحق فی النصف الأول من القرن الرابع الهجری وفی قرية بناحية طبران طوس، إحدى مدن خراسان (مشهد الحالية)، واستطاع أن يتعلم العربية والبهلوية، ويحيط بآدابهما، ويقف على تاريخ أمته، ويفوق أقرانه فی نظم الشعر على البديهة.قضی الشاعر وقته فی طوس فأحبّها، وشغف بجدولها الرقراق المتفرع من نهرها، فأقام بجواره ينشد أشعاره متمنيا أن يأتی يوم يجد فيه السد اللبنی المقام على هذا النهر، من يقويه بالحجارة والآجر والكلس والجير، فقد كان كثيرا ما تحطمه السيول، فينقطع الماء وتضطرب الأحوال.واختار الشاعر لنفسه لقب فردوسی ليتخلص به فی شعره وعاش على غلّات ضياعه فی طوس دهقانا ميسور الحال، ينظم الشعر ويتغنی بحب بلاده. (حلمی، ۱۹۸۵م: ۸۲-۸۳)

يبدأ فردوسی كلامه بحمد الله والثناء على رسوله وإظهار سبب النظم. ثم يستعرض مسيرة تاريخ إيران منذ أقدم العصور؛ فيتحدث عن زمن الملک كيومرث أول ملوک البيشداديين، ثم عن منوجهر وبداية الحضارة البشرية والتعرف على طرز المعيشة وأسلوبها؛ ثمّ يشير إلى أنّ هوشنک هو الذی استخرج النار من الحجر واعتبر يوم اكتشافها عيدا أسماه جشن سده، وقداستمرّ فترة طويلة وسيلة من وسائل الاتصال بين أفراد شعب إيران.ويذكر كذلک إلى أنّ جمشيد هو من علّم الشعب طرائق المأكل والملبس وإعداد المنزل، وقسم المجتمع إلى طبقات وجماعات، وأطلق على اليوم الذی أنهی فيه ذلک عيد النيروز. وفی قصة جمشيد يأتی ذكر موضوع الضحاک وكاوه الحداد ويركز فردوسی على اتحاد الشعب الإيرانی ضد الغاصب.ثم ينتقل إلى سلطنة

منوجهر وابنه نودر.وحين يِقتل الأخير على يد أفراسياب التورانى تنشأ حرب عدائية قومية ثأرية بين شعبى إيران وتوران، يديرها فردوسى ببراعة لصالح الفرس نتيجة وبطولة وشهامة، ويبرز دور البطل الذى اختاره لشاهنامه رستم بطل الأبطال الذى ينتهى حضوره فى أى معركة بنصر حاسم لبلاده. وفى عهد كاوس تدخل حرب إيران وتوران مرحلة جديدة وتقع مأساة موت سهراب.وبذهاب سياوش إلى توران متألما من فعال كاوس وبقتله على يد أفراسياب، تصل الحرب بين الشعبين إلى أوج قسوتها، وتتبدى شجاعة رستم وكيو وكودرز وسائر المحاربين الإيرانيين الشجعان.ويقع أفراسياب فى الأسر، ويُقتل فى عهد كيخسرو لتنتهى حروب إيران وتوران. ويصل فردوسى إلى قصة كشتاسب وظهور زردشت، فيورد أشعارا للدقيقى تخدم الموضوع.ثم يشير إلى حكم لهراسب ودارا وحروبه مع الاسكندر، دون أن يشير إلى كورش وقمبيز، وهما مؤسسا الإمبراطورية الهخامنشية.وحين يصل إلى عصر الأشكانيين يكتفى بعدة أبيات للحديث عنه.ثم يصل إلى الدولة الساسانية فيفصل الحديث حول ملوكها ومآثرهم وينهى الشاهنامة بموت يزدجرد الساسانى فى حروبه مع العرب. (حلمى، ١٩٧٥م: ٧٠-٧١)

التراجيديا

تعتبر التراجيديا نوعا أدبيا أو مسرحية تنتهى بموت البطل بغتة أو مصيره المحزن. هلاک البطل أو مصيره المحزن ينتجان عادة عن تناقضات يراها المشاهدون أو المشاهد أثناء الأحداث (انوشه، ١٣٨١ش: ٣٣٠)، ولذلک سميت التراجيديا لدى البعض بتصوير الخيبات عند كبار الشخصيات. (كدكنى، لاتا: ٢٢) إن أرسطو إلى جانب الوحدات الثلاث (الزمان، المكان، والموضوع) كان يعتقد أن البطل يجب أن يكون نجيبا بارزا منتميا إلى طائفة مرموقة مؤكدا على حبكة جادة تشمل موضوعات أخلاقية فائقة. (زرين كوب، ١٣٥٧ش: ١٢١)

ما يلفت النظر فى رأى أرسطو هى الغاية التى يتوخاها من التراجيديا: يتم إنجاز التراجيديا فى بيئة مفعمة بالتآسى والخوف فينشأ عنهما خلو النفس من المشاعر السلبية

وطهارتها. (المصدر نفسه: الصفحة نفسها؛ ديجز، ۱۳۶۶ش: ۳۳۱) ولكن هناک سؤال، وهو أن هذا التآسی هل يوجد فی الملهاة بوصفها أحد أركان الأدب الدرامی أيضا؟ والجواب هو أن فی الملهاة غالبا ما يجد المشاهد بينه وبين الممثّل علی الخشبة فاصلا ليتمكن من الضحک علی شخصيته المتناقضة بينما يحاول المشاهد تقريب ذاته من البطل فی التراجيديا. (ديجز، ۱۳۶۶ش: ۳۳۴) وهكذا يبدو أن ما قاله شلی: « تراجيديات شعراء أثينا كمرايا يری المشاهد نفسه فيها باختلاف بسيط فی الأحوال.» يمكن توسيعه بحيث يشمل كل زمان ولغة. (المصدر نفسه: ۱۹۷ نقلا عن شلی)

وهذا التقارب بين المشاهد والبطل يؤدی إلی قلق المشاهد تجاه مأساة تحدث قريبا إلا أنه يرتاح بعد نهاية المسرحية أنه لم يُصَبْ بأذی من تلک المأساة، وما يرافقه لدی عودته من المسرح هی تجربة خلّصته من واقع مرّ عانی منه شخص آخر وهذا الارتياح يسمی بالخفة أيضا. (شميسا، ۱۳۷۰ش: ۱۵۹)

تراجيدية سياوش[۱]

ولد سياوش من جارية [تورانية] حسناء كانت هاربة من ظلم أبيها عندما لاقاها توس وجيو وهما يتصيدان بناحية من نواحی توران، فتنازعا عليها، واحتكما إلی كيكاوس، الذی ما إن رآها حتی استأثر بها وضمّها إلی حريمه. فحملت منه ووضعت ولدا كأنه صنم حسنا وجمالا، فسرّ به كيكاوس، وأرسله مع رستم لكی يربّيه ويعلمه آداب الملوک.فلما شبّ رحل إلی والده، وأقعده بجنبه علی العرش.

وفی يوم من الأيام رأته سودابه زوجة والده، فهامت فی حبه لما هو عليه من حسن الجمال والكمال. دخلت سودابه علی الملک تطلب منه السماح لسياوش بزيارة أخواتها وراء الستر، لأنهن سمعن عنه، إلا أن سياوش فطن للحيلة وعرف أنها تدبير سودابه، فتظاهر أن زيارة النساء فی غرفهن ليست من آداب الملوک وسيرهم. فسرّ والده بذلک

۱. تم تلخيص هذه التراجيديا من كتاب عنوانه: الشاهنامة ملحمة الفردوسی الكبری لسمير مالطی: دار العلم للملايين، ۱۹۷۹م.

وأمره بأن يزور أخوات سودابه ولو لمرة.

وفى صباح اليوم التالى زار سياوش أخوات سودابه، ففرحن وانبسطن، واكتحلن من حسنه ونبله.وأشارت سودابه على والده بتزويجه إحدى أخواتها لكى تضمن قربه، وتزيد حبّه.لكن سياوش رفض.ثم استدعته سودابه مرة ثانية، وعرضت عليه أخواتها بعد أن بثت له وجدها وعرضت عليه حبها.فاختار واحدة لتفادى الأمر، وأفهم سودابه بأنها له مثل الأم، وحرام عليه أن يقابل وفاء أبيه بطعنة من الخلف.لكنها لم تقتنع وبدأت تلجأ للحيلة.فلما كان عندها مرة، عرضت عليه نفسها، فصدّ عنها، فمزقت ثوبها وصرخت صراخا عظيما سمعه الملك كيكاوس، فدخل عليهما ليرى ما فى الأمر.فقالت له سودابه: هذا ولدك حاول اقترابى.فلما صددته لم ينصرف، وباسمك لم يرتدع.فمزّق ثوبى، فصرخت خائفة على الوليد الذى فى بطنى.أما سياوش فقصّ عليه القصة كما جرت.فأخذ يده يشمها، محاولا أن يجد أثرا لرائحة سودابه عليها.فلما لم يجد، عرف أنها المخادعة.لكنه لم يستطع أن يفعل شيئا بها لأنها ابنة ملك هاماوران، وأم أولاده وخادمة أيامه التى قضاها فى قلعة والدها حين كان سجينا.

التجأت سودابه للحيلة مرة ثانية.فدعت ساحرة عندها كانت حاملا، وطلبت منها أن تسقط الحمل الذى فى بطنها.ففعلت ذلك فى طست من ذهب واختفت.أما سودابه فبدأت تصرخ وتستغيث حتى جاء الملك والقوم وأظهرت لهم صحة أقوالها.فاحتار الملك بالأمر واستدعى العلماء والوزراء، فكشفوا له بعد مضى أسبوع أن الحمل الذى فى الطست ليس من ظهره ولا من رحم زوجته، بل هو لساحرة اختفت ولم تعد للظهور. وحتى يتيقن من الأمر أشاروا عليه بنار عظيمة، إن خاضها أحد الخصمين وهو برئ لم تحرقه.فحضروا الأخشاب حتى صارت على شكل جبلين عظيمين وأوقدوا فيها النار. وهيأ سياوش نفسه للدخول فيها وسودابه على النافذة فرحة بما سيصيبه.فلما دخل بفرسه وخرج سالما، هلل الجميع فرحين وبقتل سودابه مصرِين.لكن سياوش تشفّع لها عند الملك فأبقى عليها.

ثم بلغ كيكاوس أمر تأهب أفراسياب للاستيلاء على إيران.فجمع قواده ووزراءه،

وأوكل أمر جيشه إلى رستم وسياوش الذى عرض نفسه تخلصا من حيل سودابه، طامعا بالصيت الذى سيكسبه من مقتل أفراسياب، فذهب قاصدا ضيافة دستان فى زابلستان، فأقام عنده شهرا، ثم أكمل طريقه متابعا، مجمّعا جيوشه من كلّ مدينة كان يمرّ بها حتى وصل بَلَخ، فباغت جيوش الترک بغتة فقضى على معظمهم.وأرسل إلى والده رسولا يستأذنه فى عبور جيحون، فكان له ما أراد.أما أفراسياب الذى لحقته الهزيمة فقد حلم حلما مزعجا بعد تبلّغه خبر انهزام جيشه...فارتعد مرجفا، وأرسل فى طلب المنجمين مسرعا.ففسّروا حلمه بأن قَتْلَ سياوش وعدم قتله سيجرّ الويلات على مملكة توران. فسعى لدى سماعه هذا الخبر إلى الصلح وأرسل أخاه جرسيوز رسولا إلى سياوش.وصل جرسيوز وأفضى بما معه لسياوش الذى استمهله للتشاور.فاجتمع برستم، ورأيا إثباتا لكلام أفراسياب الطلب منه إرسال مائة رهينة، والتخلى عن بعض أراضى توران لمملكة إيران.فأجبر الأخير على تنفيذ الرغبات وإرسال الطلبات.لأنه لو لم يفعل فسيُظَنّ به السوء ويلحقه المكروه.أما سياوش فأرسل رستم رسولا إلى كيكاوس مشيرا عليه وقف الحرب.فما أن عرف الملک بذلک، حتى ثار وتوعّد وهدّد فى وجه رستم.واتهمه بأنه حرّض ولده على وقف الحرب وقبول صلح أفراسياب لما فى نفسه من رفاهية وحبّ للمهادنة.وأمره بالبقاء عنده وأرسل توسا لقيادة جنده.فلما وصل إلى حضرة سياوش، علم الأخير بغضب أبيه وبتصميمه على محاربة أفراسياب.فاهتمّ واغتمّ، ولم يكن مصمما لنقض وعد أفراسياب.فاختار من قواده زنكة بن شاوران رسولا إلى أفراسياب يعلمه فيه تصميم أبيه على محاربته، مرجعا له الرهائن، سائلا إياه السماح له بعبور بلاده ليسكن طرفا من الأرض، معتزلا التاج والعرش، متخلصا من كيكاوس، مستريحا من سوء خلقه وفساد طبعه.فرحّب الأخير بقدومه، وبالغ فى إظهار مودته، ورغبته فى تزويجه إحدى بناته.فيصير إليه عرش إيران بعد وفاة كيكاوس، وسياوش عنده بين يديه، فيصبح ملک الجانبين وصاحب الدولتين.

عبر سياوش نهر جيحون، وهو حزين القلب.فترک ممالک إيران واتجه إلى بلاد توران.فلما وصل استقبله بيران قائد جيش توران.فاستأمنه سياوش وسأله: هل يمكننى

أن أثق بأفراسياب وأقيم عنده، أو ألجأ إلى حصن آخر خوفا منه؟ فاستوثقه بيران مؤكدا أن نفس أفراسياب تعمل بغير ما تضمر، وأن كل شئ فى توران تحت إمرة بيران. وبعد مدة صارا كصديقين، ثم ارتحلا إلى أفرسياب الذى ما إن رآه حتى بُهت لجماله وحسن كماله، وأنزله فى نفسه أحسن منزلة، وخلع عليه الهدايا والجواهر، ونفائس الكنوز والذخائر.ومضت سنة على هذه الحال، وأفراسياب لايرى ولايفكر إلا بسياوش فهام حبا به وأنزله منزلة ولده ووافق على تزويجه فرنكيس بطلب من بيران.تم زواج فرنكيس من سياوش وانتقلا إلى موضع بنى فيه سياوش مدينة دعاها بسياوش كرد، فكانت كالروضات منظرا وكالقصور بنيانا وعزّا.

طلب أفراسياب من أخيه جرسيوز زيارة سياوش للاطلاع على أحواله وأفعاله فى مدينته الجديدة.فارتحل ولما وصل استقبل بالدرر المنثورة، وأنزل مع حاشيته فى القصور المبهورة.وأجلسه سياوش قرب عرشه، مبسوطَينِ فرحَينِ وبالشراب آمرَينِ.لكن فرح جرسيوز كان فى الظاهر، أما فى الباطن فقد دخل قلبه الحسد، وقرّر أن يوغر صدر الملک أفراسياب على سياوش خصوصا بعدما نازل هذا الأخير رجيلن من أشجع رجال جرسيوز فغلبهما.فلما عاد إلى أفراسياب تفوّه بالأباطيل، وقال الأكاذيب على سياوش، واتصاله سرّا بأبيه كيكاوس، وتحضيره آلاف الجيوش لخلع أفراسياب عن عرش توران. فذُعر مما سمع، وبعث جرسيوز ثانية إلى سياوش طالبا منه المجيء، وصل جرسيوز إلى سياوش مهتما ومهموما.فلما سأله عن أحواله أجاب: يا مولاى، ما لى أرانى إلا نذير شؤم لک.فالملک أفراسياب قد غيّر رأيه فى حقک، وهو يريدک أن تحضر إليه.لكنى أنصحک وعن السوء أبعدک، فاكتب إليه كتابا تعتذر فيه عن سبب تأخرک بالرحيل، علّنى أهدئه، بينما تكون قدخرجت إلى مكان تكون فيه بمأمن عن نفسک وروحک. ثم أخذ بنفسه الرسالة وطار مسرعا إلى أفراسياب، فوصل فى ثلاثة أيام.فلما دخل إلى حضرة أخيه، سأله عن عجلته وسبب رحلته، فأجاب مشوّها الحقائق، محرّضا إياه على سياوش الذى تفاقم شرّه واستفحل أمره.فما كان من أفراسياب إلا أن حضّر جيشه ووجهه إلى سياوش.فلما علم سياوش بقدومه ودّع زوجته فرنكيس طالبا منها الحفاظ

على ولدها الذى فى بطنها، وخرج.وبينما هو خارج مع حرسه، لاقاه أفراسياب بجنده. فاقتتلا قتالا عظيما وقبض على سياوش الذى كبّل وسيق إلى حضرة أفراسياب.فلما مثل بين يديه، تردد فى رأيه بين مستعجل فى قتله، ومستمهل فى سجنه، وبتحريض من جرسيوز وقواده سلّمه إلى كروى زره الذى أخذه إلى جانب فى الصحراء وذبحه بخنجر جرسيوز الذى قدمه إليه فى طست من ذهب.فنبت مكان الدم نبات معروف بخون سياوشان أو بدم الأخوين.

علمت فرنكيس بمقتل زوجها فلطمت خدها ونتفت شعرها ولعنت أباها الذى ربّاها. فما أن صرخ صراخها حتى أمر بها طالبا قتلها، وإسقاط الوليد الذى فى بطنها.لكن توسلات بيران الذى قدم بطلب من أخيه بليسم، شفعت لها. فأخذها وفى قصره وضعها طالبا من زوجته أن تنزل فى خدمتها كأنها ابنة لها. (مالطى، ١٩٧٩م: ٥٨-٦٦)

الشخصيات الأصلية والثانوية فى تراجيدية سياوش

يرى المتتبع لهذه التراجيديا أن فردوسى لم يستخدم فيه شخصيات كثيرة بل اعتمد على عدد متوسط وربما يرجع السبب أيضا إلى أن المسرحية بشكل عام لاتتطلب كما وفيرا من الشخصيات.أما الشخصيات الأصلية فى هذا التراجيديا فهم: كيكاوس (كاوس) وسياوش (سياوخش) وسودابه وأفراسياب وجرسيوز.كان كيكاوس حاكما على إيران وأنجب سياوش وتكفل رعايته و«نثر عليه زهر الكواكب وأقعده بجنبه على العرش واهبا إياه كل ما لديه من مال وجواهر وكنوز وذخائر.ثم أعطاه التاج فى السنة الثامنة من قدومه.» (مالطى، ١٩٧٩م: ٥٨) ولكنه ظلمه إذ أجبره على الحرب.أما سياوش فصوره فردوسى كشابّ فائق الجمال كثير الذكاء شديد البأس لكنه محبّ للسلم.نرى فيه قيما أخلاقية سامية حيث رفض طلبات زوجة أبيه سودابه لأنه لم يكن يريد خيانة الوالد. وحبّه للسّلم دعاه إلى الهروب من إيران بعد أن أجبره والده كيكاوس على الحرب واختار البقاء فى توران.لم يكن سياوش إيرانيا خالصا بل كان إيرانيا باعتبار أبيه كيكاوس، وتورانيا باعتبار أمه وهذا ما جعله متطلعا إلى السلم بين البلدين.أما سودابه

فنراها امرأة ذات وجهين فى الشاهنامة.قبل تزويجها بكيكاوس بذلت جهودها للوصول إليه واقفة فى وجه أبيها هاماوران شاه وظلت وفية لكيكاوس إلى أن كبر سياوش حيث نراها تهيم فى حبّه متمسكة بكل الحيل للوصول إليه.

أما أفراسياب فكان يحكم توران ويعتبر من أبرز المنافسين لكيكاوس.لجأ سياوش إلى أفراسياب وهذا الأخير استقبله بصدر رحب بل زوّجه ابنته فرنكيس وأحب سياوش وقرّبه من نفسه ما أدى إلى إثارة حسد جرسيوز وأخيرا أمر بقتل سياوش خوفا منه ومصدّقا لأكاذيب جرسيوز.أما جرسيوز فيعتبر من الشخصيات السلبية فى هذه التراجيديا إذ أشعل الفتنة بين أفراسياب وسياوش محرّضا إياه على قتل سياوش.كان جرسيوز خائفا من مكانة محسوده ولم ير نفسه فى مستواه.

ومن الشخصيات الثانوية فى هذه التراجيديا نذكر: رستم معلم سياوش ومؤدبه، وفرنكيس زوجة سياوش، وبيران وزير أفراسياب الذى شجّع أفراسياب على تزويج ابنته بسياوش وفى آخر المطاف لام أفراسياب على قتل سياوش مانعا إياه عن قتل ابنته فرنكيس متوليا أمر رعايتها أخيرا.ويعتبر كيخسرو نجل سياوش الذى كان فى بطن أمه إذ تنبأ سياوش قبل مقتله أنه سيكون بطلا شهيرا ووصى أن يحافَظَ عليه وأن ينقل بعد ولادته مع فرنكيس إلى إيران.

وبين هذه الشخصيات نرى بيلسم باعتباره أخا لبيران الوزير وكان حاضرا عند مقتل أفراسياب وحاول أن يصرف أفراسياب عن قتل سياوش إلا أنه لم ينجح، ولكن الدور الذى لعبه هو أنه نقل وصايا سياوش إلى أخيه بيران.أما كروى زره ودمور فكانا بطلين من رجال جرسيوز وهزمهما سياوش ذات مرة وعندما أنزل أفراسياب جيشه على سياوش أخذا يشجعانه على قتل سياوش، وكروى زره هو الذى أخذ خنجرا وقطع رأس سياوش فى طست من ذهب.

و فى مستهلّ التراجيديا هناك جارية تورانية حسناء لم يذكر لها اسم وهى التى تقع موضع نزاع توس وكيو اللذين احتكما إلى كيكاوس الذى ينهى نزاعهما بضم الجارية إلى حريمه.أما كيو يظهر فى آخر التراجيديا أيضا إذ ينقل فرنكيس وكيخسرو إلى إيران

بوصية من سياوش.وأخيرا نذكر بهزاد بوصفها فرسا خاصا لسياوش جاء ذكرها عندما يعبر سياوش النار راكبا هذه الفرس.

العبر التاريخية فی تراجيدية سياوش

إن غاية المسرحية كما أشار إليها بعض الكتّاب: «تبليغ نموذج قيّم من الاعتدال المعرفی واستمراره.» (ديجز، ۱۳۶۶ش: ۲۱۳) يقول ريجاردز: إن الشاعر لاينقل الحقيقة عن عالم الواقع، بل يقدم عادات تنتج عن اعتدال الجهاز العصبی ومن الواضح أن المأساة لاتقدم إلا هذا.ومن هذا المنطلق نجد لمفاهيم كالاعتدال أهمية فائقةفی الآداب، والمأساة بوصفها تجربة تجرّ المخاطب إلى أعماق تصاويرها، تصبح ذات أهمية إذ تخلق الاعتدال. (بازرگان، ۱۳۸۶ش: ۴۰-۴۱)

أما المأساة التی عرفها أرسطو: بمحاكاة للسلوک والحياة والسعادة والشقاوة، (زرين كوب، ۱۳۵۷ش: ۱۲۳) فكيف تخلق هذا الاعتدال؟ ومن البديهی أن التراجيديات تقوم غالبا بإيجاد التقابلات بين الصفات البارزة للبطل واللابطل، والحسد من أبرز هذه الصفات. ولعل أول نموذج تقليدی للحسد فی الأدب الدينی هو ما حصل لهابيل وقابيل إذ يصور لنا أول حادث قتل مكتوب فی التاريخ البشری، ولكن النموذج الأكثر بروزا هی قصة يوسف وإخوته.إن يعقوب الذی استوعب جذور الحسد فی أولاده حاول إبعاد الولد الأصغر عن آفات هذا الويل ولكنه لم يُوَفَّقْ. فالذئب فی هذه القصة رمز للحسد، وأولاد يعقوب قالوا لوالدهم إن الذئب أكل يوسف. (بازرگان، ۱۳۸۶ش: ۴۱) و قد تنبّه مولانا إلى هذا الأمر وأشار إليه بقوله:

- كان يعقوب الحليم خائفا على يوسف من فعل هذا الذئب.
- لانری ذئبا ظاهرا يعادی يوسف إنما هذا العداء اكتسی ثوب الحسد الصادر من الذئاب. (مولانا، ۱۳۸۲ش: ۲۳۶)

وفی الأدب الملحمی يمكننا اعتبار قصة سياوش فی الشاهنامة للحكيم فردوسی، أقرب قصة إلى النص المذكور ونموذجا ناجحا للتراجيديا التی جمعت العناصر قاطبة.

یعتبر سیاوش أمیرا عاقلا شجاعا حسن المنظر یتألم من مکر سودابة وجهل کاووس المستبد ولهذه الأسباب یلجأ إلی مملکة أفراسیاب، ولکنه یصبح هناک محسودا لجرسیوز وهو أخ لملک الأتراک:

دل و مغز گرسیوز آمد به جوش　　دگرگونه تر شد به آیین و هوش
به دل گفت سالی دگر بگذرد　　سیاوش کسی را به کس نشمرد

- ضاق صدر جرسیوز وتغیر مسلکه وعقله.
- قال فی نفسه سیمرّ عام آخر وبعد ذلک لایعتنی سیاوش بأحد. (فردوسی، ج۱، ۱۳۶۹ش: ۵۰۳)

وهذا المضمون طالما نجده فی معظم النتاجات الملحمیة وکثیر من مسرحیات العالم الشهیرة إذ یصبح الحسد محرکا لعجلات القصة.فأینما کانت الفضائل موجودة یظهر الحسد أیضا وهذا الأخیر بمثابة عقدة نفسیة ناتجة عن الشعور بالحقارة.یشعر هابیل بحقارة لدی هابیل کما لإخوة یعقوب نفس الشعور تجاه یوسف وجرسیوز أیضا یشعر بالحقارة عندما یتقدّم علیه سیاوش:

تو حسودی کز فلان من کمترم　　می نماید کمتری در اخترم
خود حسد نقصان وعیبی دیگرست　　بلکه از جمله کمی ها بدترست

- إنک حسود إذ تحسب نفسک أدنی مرتبة من فلان وتعتبرها أقل حظا من الآخرین.
- أما الحسد فهو عیب آخر أکثر سوءا من سائر النقائص. (مولانا، ۱۳۸۲ش: ۲۱۳)

لکننا ندرک تماما أن التراجیدیا لاتُخلَقُ بدونه، وهذا العیب بدوره یعطی صاحبه فرصة یتمکن فیها من إعداد دسائسه التی تحظی بدعم من التقدیر وفقا لطبیعة التراجیدیا وبالمقابل یساعد البطل الأصلی المتمتع بفضائل مثیرة للحسد، علی تحقیق الکارثة دون استیعاب وفی هالة من سذاجة مردیة.إن إلقاء نظرة علی النتاجات التراجیدیة تدلنا علی تصویر مثلث الأبعاد لهندسة التراجیدیا وهو مثلث بسیط نری فی کل زاویة منه العناصر التالیة:

١. عنصر القدرة: وهذا العنصر يتواجد لدى الحكام، وشورى السلطة، والكنيسة فى القرون الوسطى، فالحكام عادة يمتلكون عقولا ضعيفة ومشاعر متغيرة تصلح للوساوس.

٢. العنصر المخادع: وهو مراوغ يؤدى حسده إلى الدسائس والحيل وأخيرا الجنايات.

٣. عنصر الضحية: وهو يتمثل فى البطل الأصلى للقصة الذى يمتلك روحا كبيرة منطوية على الفضائل مثيرة للحسد. (بازرگان، ١٣٨٦ش: ۴۲)

تتحد هذه العناصر بطريقة واحدة عادة وهو أن حسد العنصر المراوغ يسوقه ليضمر حقد البطل (الضحية) ويتمسک بقدرة الحاكم كسلاح للوصول إلى غاياته حيث يحرّض عنصر القدرة على قتل الضحية.هذا المثال ينطبق وكثيرا من مضامين الآداب الدرامية منها التراجيديات التالية: ١. مسرحية أتللو لويليام شكسبير: يسعى (أياجو) الحقود والحسود لإبادة منافسه (كاسيو) بعد أن أثار غيرة (أتللو) وأخيرا يحرض أتللو على قتل زوجته الحبيبة (دسدمونا). (شكسبير، ١٣٥٧ش) ٢. مأساة أجمنت لغوتة: يصبح كنت أجمنت الساذج الحر، ضحية لدسائس (دوک آلبا) ومحكمة السلطة تحكم عليه بالشنق. (غوته، ١٣۴۶ش) ٣. تراجيدية دون كارلوس لفردريک شيلر: يقوم فيليب الثانى (الحاكم)، بقتل دون كارلوس (ولى العهد) جراء وساوس أثارتها حسادة كل من (كنت آلبا) و(البابادو مينغو). (شيلر، ٢٥٣٧) ۴. تراجيدية سياوش فى الشاهنامة للحكيم الفردوسى: إن الحقد والحسد لدى جرسيوز يثيران قدرة أفراسياب ما يؤدى إلى قتل سياوش.

هذه النماذج التى تم تصميمها وفقا لحقائق التاريخ تدلّ على مصير مماثل فى تاريخ العلاقات الإنسانية خاصة فى أنظمة الحكم الاستبدادى.تلک الأنظمة التى يتخذ فيها شخص واحد القرار النهائى.قدم مؤلفو كليلة ودمنة هذا المثال فى أجزاء من الكتاب بدراية كاملة: فالأسد (عنصر القدرة) يشق جسد شنزبة المظلومة (الضحية) جراء إغواءات دمنة الحسود (العنصر المراوغ).ألا يمكننا اعتبار شنق حسنک وزير جراء دسائس بوسهل الزوزنى وحكم مسعود الغزنوى، تكرارا للتاريخ؟ وماذا نسمى قتل قائم

مقام فراهانی وأميركبير بعد مكائد كلّ من ميرزا آغاسی وميرزا آقا خان نوری؟ (بازرگان، ١٣٨٦ش: ٤٤)

تُواصِلُ جميعُ عناصر التراجيديا فی النتاجات الأدبية – بوصفها مرآة لحقائق التاريخ – حركتَها الجبرية نحو مصير يحتّم الموت على البطل؛ والقصة بوصفها مرآة للتقدير تنتهی إلى الموت. يتمتع الموت ببالغ الأهمية إذ لايمكن تصوير عمق المأساة ولايعی الإنسان مدى قبح الرذائل ولايستثار عليها دون وجود هذه الحقيقة، أی الكارثة المأساوية التی تنزل على البطل.فالتراجيديا يكتمل بموت البطل ويصل إلى شكله النهائی.إن إلقاء نظرة متأنية إلى هذا المثلث يكشف اللثام عن حقائق أخرى:

١. لكل زاوية من هذا المثلث نقطة ضعف يمكن تسميتها نقاط الضعف الثلاث:

أ. يعترى القلق كلا من عنصر القدرة والعنصر المحايل.فالعنصر المحايل يخاف فقدان مقبوليته.لايسكت عن وجوده الغضب ويحاول جاهدا أن يثير غضب عصنر القدرة أيضا.

يخبرنا علم النفس أن الحسد والغضب ينتجان عن الخوف.يخاف الحسود أن يبقى مجهول الهوية لايعرفه أحد ويظل فی أدنی المستويات ولذلک لايمكنه الخضوع لشخصية تمتلک فضائل أكثر إذ يخشی من أن يختفی فی ظلالها.ألا يمكن اعتبار هذا الخوف ناتجا عن الحرص أو الكبر؟ أيّا كان، فإنه خوف مقيت يدفعه بأی خداع، وللأسف بدل أن يحل هذا الخوف حلّا ذكيا، يلجأ إلى السعی فی هلاک المنافس وشطب أصل المشكلة.

عنصر القدرة أيضا يعيش فی أجواء خوف جادة.خوفه ينشأ عن ظنه بفقدانه مساحة القدرة، والعنصر المراوغ أيضا يعزف على هذا الوتر واعيا.ومن منطلق علم النفس يصح إذا قلنا إن الحاكم الذی يعيش حياة الخوف من ناحية، يعيش فی قلق مستمر من ناحية أخرى أيضا.هذا الأمر يبرز فی تراجيدية سياوش بروزا واضحا.كلمة أفراسياب تعنی المخوّف الذی ألقی الخوف فی قلوب الآخرين. (بورداود، ج١، ١٣٤٧ش: ٢١١) ولكن فی الوقت نفسه كان هو أيضا خائفا بشدة، وهذا الخوف يتجلی فی حُلم يكشف عن أعماق

ضمیره:

خروشی بر آمد از افراسیاب　　بلرزیداز آن‌جای آرام‌وخواب
نهادند شمع و بر آمد به تخت　　همی بود لرزان بسان درخت

- اعتری أفراسیاب انتفاض أقض مضجعه وحرّم علیه النوم.
- فأشعلوا له الشموع (کی یستنیر بضوئها ویتغلب علی فزعه ولکن دون جدوی) فاستلقی علی سریره مهتزا کالشجرة. (فردوسی، ج۲، ۱۳۶۹ش: أبیات ۷۴۶ إلی ۷۸۰)

رأی فی المنام صحراء ملؤها الحیات، وأرضا یابسة مغبرة وسماء تملؤه العقبان.إن ریحا تؤدی إلی إسقاط عَلَمِه وشابا یشق کاووس أمام الأنظار.

جاء هذا النموذج فی الشاهنامة بشأن الضحاک أیضا. یحلم الضحاک أن فریدون کبّله ویجرّه خلفه.

بپیچید ضحاک بیدادگر　　بلرزید و ناگه بر آورد سر
یکی بانگ بر زد بخواب اندرون　　که لرزان شد آن خانه بیستون

- التوی ضحاک الظالم ورفع رأسه فجأة وهو ینتفض.
- صاح فی النوم صیحة هزت البیت. (المصدر نفسه: أبیات ۴۳ إلی ۱۱۷)

وهذه لیست قصة جدیدة باعتبارها نفس الحلم الذی مرّ علی خاطر فرعون فی الثقافة الدینیة وأمر جرّاءه بقتل جمیع مواليد بنی إسرائیل.

ب. یرافق الضلعَ الثالثَ (الضحیة=البطل) أیضا ضعف حقیقی، لأنه سریع الانقیاد ساذج غافل. یقابل فی مأساة سیاوش سذاجته وقدرته علی التنبؤ ومعرفته للأسرار وکأنه علی حدّ تعبیر مسکوب: «غریب مبهوت سقط من أعلی الملکوت علی أرض الملک.» (مسکوب، ۲۵۳۷: ۶۵) یری البعض أن التراجیدیا خاصة ما یتم خلقها فی حلبة الملحمة، تتطلب أن لایغرق البطل فی الطموحات الأخلاقیة کما تحتم علیه أن یکون علی درایة سیاسیة ولو جزئیا. (رحیمی، لاتا: ۲۱) یری بعض المتخصصین فی مجال الشاهنامة أن ضعف سیاوش یکمن فی عرضه فضائله علی عیون جرسیوز الضیقة وضمیره الحسود. (عبادیان، لاتا: ۱۷۹)

٢. يكون عنصرا القدرة والضحية قريبين من بعض فى بداية القصة. يحب صاحب القدرة، الضحية لفضائلها.كاسيو ودون كارلوس وأجمنت وسياوش كلهم محبوبون مرغوبون.أتللو يحب كاسيو كما أن أفراسياب يحب سياوش فى البدء معتبرا إياه ولده الذى تم إبعاده عن أرضه بل ينكحه ابنته بناء على اقتراح الشيوخ:

بدو داد جان و دل افراسياب همى با سياوش نيامدش خواب

- سخر سياوش قلب أفراسياب وضميره وبوجوده لم يغلب النوم عليه. (فردوسى، ١٣٦٩ش: البيت ١٣٨٤)

ولكن بمرور الأيام وبعد أن دسّ المراوغ السم فى كأس مودتهما، تتوتر العلاقات ويرى الحاكم الضحية خطرا عليه وعلى ملكه وأريكته.

لايمكننا فى مأساة رستم واسفنديار، أن نرسم أضلاع المثلث بوضوح لأن جستاشب تكفل بنفسه ضلعين للمثلث حيث جمع فى نفسه عنصرى المراوغ والقدرة معا؛ فمن ناحية يعرف أهلية الولد لإحراز الحكم منكرا إياها لحرصه، ومن ناحية أخرى، يخاف أن يفقد سلطانه بواسطته. ففى ثوب المراوغ يرسل الولد المنافس إلى مهمة لارجعة له منها إذ يعرف أن دخول سيستان لاسفنديار بمنزلة اجتياز بوابة الموت وهكذا يتغلب على المنافس. تتكرر هذه اللعبة فى مأساة سهراب بيد أفراسياب إذ يتكفل بوحده دور المراوغ والقدرة معا.يساق سهراب أيضا إلى سفر، عواقبه هلاك المنافس (سهراب نفسه أو رستم أو كلاهما).

٣. يتم خلق التراجيديا فى بيئة يمتزج فيها مفهوما الجبر والاختيار فى جدال غير متساو. فبالرغم من أن بعض الباحثين رأوا اختلافا فى مقدار غلبة التقدير فى تراجيديات أثينا وتراجيديات الشاهنامة، (كيا، ١٣٦٩ش) إلا أن الجبر فى كليهما يحتل المكانة الأولى.فأحيانا يشتد دور المصير الجبرى بحيث يشعر القارئ أنه لايوجد عنصر إلا ويتبع ما خطه قلم التقدير ولعل هذا ما ساق (آنوى) ليقول فى الأجزاء الأولى لمسرحية أنتيغون: «لايوجد شيء لايجد مصيره فى التراجيديا لأن مصير الكل واضح...فهناك نوع من التآسى بين شخصيات التراجيديا.فالقاتل يتمتع بكل ما يتمتع المقتول به من العصمة

والطهارة. كل ذلک يرتبط بالدور الذی تقوم بتمثيله.» (کادن، ۱۳۸۰ش: ۴۵۵)

وهذا يعنی انتصار المصير الذی يمشی علی هواه، ويهلک الضحية بين مخالبه الشرسة.لكن المهم هو أن مرد ظهور العاقبة المرة فی رأی المشاهد إلی الأخطاء الثلاثية الأبعاد للشخصيات حيث يمكن بالتغلب علی أحدها تعطيل العجلة المنتهية إلی المأساة والمشاهد يری فی إطار تفكيره إمكانية تحقيق هذا الأخير. (بازرگان، ۱۳۸۶ش: ۴۴-۴۷)

النتيجة

رأينا ممّا تقدّم أن المسرحية بوصفها محركا يصطحب متلقيه إلی عمق قاعات التفكير، كيف تؤثر فی تحرّر الإنسان من المشاعر السلبية وكيف تقدم له خدمات أخلاقية جليلة نيلها يتطلب عصورا من التجربة البشرية. فغاية الآداب الإنسانية لاتقتصر علی ملء الفراغ بل تتجلی فی السمو بالمتلقين، سواء كان فی المجال الأخلاقی أو المعرفی، والأدب الذی يخلو من هذه السمات لايمكننا اعتباره أدبا ساميا.

نعم استطاع جرسيوز أن يتغلب علی سياوش بعد دسائس كثيرة ولكنه لم ينجح فی التغلب عليه لا طيلة حياته ولا بعد قَتْلِه لأنه كان يمتلک صفات إنسانية نبيلة خلّدته مدی الدهر وجعلت اسمه رمزا للبطل المحب للسلام.وجرسيوز أيضا خلّدته دسائسه وحِيَلُه، وكلّ من يقرأ هذه التراجيديا يحاول أن يبتعد عن هذه الأخلاق الرذيلة والصفات السلبية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

انوشه، حسن. ۱۳۸۱ش. *دانشنامه ادب فارسی. الطبعة الثانية*. طهران: وزارة فرهنک وارشاد اسلامی.

بازرگان، محمدنويد. ۱۳۸۶ش. *«طرحی در هندسه تراژدی»*. پژوهشنامه فرهنگ وادب. شماره پنجم. سال سوم. صص ۳۹-۵۰.

بورداود، ابراهيم. ۱۳۴۷ش. *يشتها*. ج۱. طهران: طهوری.

حلمی، أحمدكمال الدين. ۱۹۸۵م. *عالم الفكر*. «شاهنامة الفردوسی». الكويت. المجلد السادس عشر. مايو-يونيو ۱۹۸۵م.

دیجز، دیوید. ۱۳۶۶ش. *شیوه های نقد ادبی*. ترجمة یوسفی، صدقیانی. طهران: نشر علمی.
رحیمی، مصطفی. لاتا. *سیاوش بر آتش*. طهران: شرکت سهامی انتشار.
زرین کوب، عبدالحسین. ۱۳۵۷ش. *ارسطو وفن شعر*. طهران: نشر امیرکبیر.
شفیعی کدکنی، محمد رضا. لاتا. *زمینه های اجتماعی شعر فارسی*. طهران: لانا.
شکسبیر، ولیام. ۱۳۵۷ش. *اتللو*. ترجمة عبدالحسین نوشین. طهران: امیرکبیر.
شمیسا، سیروس. ۱۳۷۰ش. *انواع ادبی*. طهران: باغ آیینه.
شیلر، فردریک. ۲۵۳۷. *دون کارلوس*. ترجمة محمدعلی جمالزاده. طهران: بنگاه ترجمه ونشر کتاب.
عبادیان، محمود. لاتا. *فردوسی وسنت نوآوری در حماسه سرایی*. طهران: نشر گهر.
غوته، یوهان. ۱۳۴۶ش. *اجمنت*. ترجمة محمدباقر هوشیار. طهران: بنگاه ترجمه ونشر کتاب.
فردوسی، أبوالقاسم منصور بن حسن. ۱۳۶۹ش. *شاهنامه*. تصحیح وتقدیم امین ریاحی. طهران: نشر سخن.
----------. ۱۹۷۹م. *الشاهنامة ملحمة الفرس الکبری*. ترجمة سمیر مالطی. الطبعة الثانیة. بیروت: دار العلم للملایین.
کادن، ج.ای. ۱۳۸۰ش. *فرهنگ ادبیات ونقد*. ترجمة کاظم فیروزمند. طهران: نشر شادگان.
کیا، خجسته. ۱۳۶۹ش. *شاهنامه فردوسی وتراژدی آتنی*. طهران: انتشارات علمی وفرهنگی.
مسکوب، شاهرخ. ۲۵۳۷. *مرگ سیاوش*. طهران: انتشارات خوارزمی.
مولانا، جلال الدین الرومی. ۱۳۸۲ش. *مثنوی*. تصحیح نیکلسون. طهران: هرمس.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی